Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

# أثر الإيمان بصفات اللّه

# في سلوك العبد

بقلم

أحمد بن محمد بن الصادق النجار

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

# الإيداع

ح أحمد بن محمد النجار،١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار.احمد محمد
أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد /أحمد النجار_ المدينة المنورة، ١٤٣٣هـ
ص ٢٤ سم
ردمك:٣-١١٧٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١-العقيدة الإسلامية ٢-الإيمان (الإسلام) ٣- الأخلاق الإسلامية.العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٣/٩٣٧٠

رقم الإيداع ١٤٣٣/٩٣٧٠
ردمك: ٣-١١٧٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

فإن باب صفات الله بابٌ عظيم القدر، رفيع المنزلة، أخذ عظمته ورفعته من عظمة الرب ﷻ؛ لأن موضوع هذا الباب هو الله سبحانه العلي العظيم، المحيط بكل شيء، المتصف بصفات الكمال.

وهذا الكمال لله سبحانه أخذ بقلوب عباده، فهو أرحم بهم من أمهاتهم اللائي ولدنهم، يتقرب إلىٰ عبده إذا تقرب العبد إليه، يداه مبسوطتان سبحانه ينفق كيف يشاء، يفرح بتوبة عبده إذا تاب، وسعت رحمته كل شيء.

والله سبحانه إنما تَعرَّف إلىٰ عباده بصفاته؛ حتىٰ يعبدوه بمقتضاها، فعبودية العبد لربه ترجع إلىٰ مقتضىٰ صفاته -جل وعلا-، إذ إن كمال صفاته يقتضي من العبد غاية الذل مع كمال الحب.

هذه المعرفة توجب حياة القلب مع الله، فتنقطع من القلب العلائق كلها، فلا تبقىٰ في القلب علاقة بغيره، ومن عرف الله أحبه علىٰ قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه، ولهج بذكره، واشتاق إلىٰ لقائه[١].

والله يحب من عباده أن يعبدوه بمقتضىٰ صفاته -تبارك وتعالىٰ-، فأحبُّ الخلق إلىٰ الله من تَعبَّده بمقتضىٰ صفاته، وأبغضهم عنده من لم يكن كذلك.

فجميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب يستغني العبد بها بقدر حظه من معرفتها، وقيامه بعبوديتها[٢].

ومعرفة الله بصفاته داخلةٌ فيما أمر الله به من الإيمان به؛ لأن الإيمان بالله لا يتم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته.

**وهذا الإيمان، حقيقته:** اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

**وينتج عن هذا: أن الإيمان بصفات الله له** أثر علىٰ اعتقاد العبد، وعلىٰ سلوكه، وعلىٰ عمله.

**وهذا ما سنبينه في هذه الرسالة بإذن الله تعالىٰ.**

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٤/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٨٥).

**ومما ينبغي أن يُعلَم**: أن معرفة صفات الله، والتعبُّد لله بمقتضاها مما يزيد في إيمانِ العبد، وكمالِ عبوديته، ويصل به إلىٰ درجة اليقين.

والناس يتفاوتون في إيمانهم وعباداتهم بحسب معرفتهم لصفات الله، فكلما كان العبد بالله أعرف ازداد إيمانًا وعبودية.

والصحابة -رضوان الله عليهم- الذين أُمِرْنَا باتباع سبيلهم؛ عُنوا بهذا الجانب غاية العناية، وعرفوا أن هذا هو مقصود الرب من تعريفهم صفاته.

**ولنضرب لذلك مثلاً يدلل علىٰ عناية الصحابة بهذا الباب:**

عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقربِ غيرِه**.

قال: قلت: يا رسول الله، أوَيضحك ربنا؟!

قال: **نعم**.

قلت: لن نُعدم من رب يضحك خيرًا». [أخرجه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»].

فهذا الصحابي الجليل لما سمع قول النبي ﷺ في إثبات الضحك لله ﷻ -كما يليق به-: لم يقل كما قال من تلوث فكره بقذر التشبيه ونجس التعطيل: كيف يضحك؟!

كما أنه لم يستدرك علىٰ النبي ﷺ فيقول: «هذا فيه تشبيه الله بالمخلوق»،

كما قاله أولئك.

**قد يقول قائل: لماذا؟**

**والجواب:** لأنه متقرر عنده من تعليم النبي ﷺ له وللصحابة: أن الله لا يماثله أحد من خلقه، فالصفة التي أضافها الله لنفسه، أو أضافها له رسوله ﷺ تثبت لله من غير تمثيل، فلا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله ﷺ.

لما عرف هذا الصحابيُّ الجليل أن الله متصف بهذه الصفة، وأن الله إنما عرَّفنا صفاته؛ حتىٰ نعبده بمقتضاها قال: «لن نُعدم من رب يضحك خيرًا».

**وهذا الذي يجب علىٰ كل مسلم.**

**يجب عليه:** أن يثبت الصفة التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير لِمَ؟ ولا كيف؟ ولا مثل؟

ثم ينظر بعد ذلك ما هو المقتضىٰ من هذه الصفة حتىٰ يحقق العبودية لله -جل وعلا- به.

**وفي هذا المعنىٰ يقول ابن القيم:** «القرآن كلام الله، وقد تجلىٰ فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلىٰ في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء،

وتارة يتجلىٰ في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدالُّ علىٰ كمال الذات، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلَّها، بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغًا إلا من محبته». [«فوائد الفوائد» (ص٧٠)].

وهذا الإيمان والعبودية هو بحسب ما احتملته قوىٰ البشر، ووراء ذلك أمر عظيم.

**قال ابن القيم**: «وما ألقاه في قلوبهم من الإيمان بأسمائه وصفاته إلىٰ حيث احتملته القوىٰ البشرية في ذلك، ووراءه مما لم تحتمله قواهم، ولا يخطر ببال، ولا يدخل في خلد مما لا نسبة لما عرفوه إليه». [«طريق الهجرتين» (ص٢٥٤)].

**لكن هاهنا أمر مهم وهو**: أن أثر الإيمان بصفات الله -الذي هو مقتضىٰ صفات الله من جهة العبد- إنما يؤخذ من الكتاب والسنة.

ونصوص الكتاب والسنة في بيان هذا الأثر كثيرةٌ جدًّا، فلا تكاد تخلو آية من كتاب الله إلا وفيها بيان هذا الأثر المترتب علىٰ الإيمان بصفات الله؛ لأن حاجة العبد إليه فوق كل حاجة، ولا استقامة للعبد إلا بمعرفة هذا الأثر، بل إن سعادته في الدنيا والآخرة متوقفة عليه.

**ومقتضيات صفات الله من جهة العبد بالتتبع ترجع إلىٰ**: المحبة، والرجاء، والخوف.

فصفة: «الرحمة، والعفو، والمغفرة، والستر، والحلم، والجمال، والرضا، والرفق، والقرب، ونحوها» توجب من العبد أن يحب الله ويرجوه.

وصفة: «العلم، والإحاطة، والمعية، والاستواء علىٰ العرش، والبصر، والعينين، والسمع، والغضب، والكره، والمقت، والقدرة، والعزة، والجبروت، والعظمة، ونحوها» توجب من العبد أن يخاف من الله ويخشاه.

**هذه الأمور الثلاثة هي**: أُسُّ العبودية، فالعبودية لا تقوم إلا علىٰ هذه الأمور الثلاثة، وهي: المحبة، والرجاء، والخوف.

وهي التي تحرك القلوب إلىٰ الله، وأقواها المحبة، فهي: مقصودة لذاتها، والخوف والرجاء يستلزمان المحبة؛ وذلك أن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف لينال محبوبه[١].

فليست المحبة كالرجاء والخوف؛ فإن المحبة حالٌ من أحوال أهل الجنة لا تفارق المتلبس بها في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائمًا، لكنه ليس رجاء مشوبًا بشك، بل هو رجاء واثق بوعد صادق من حبيب قادر، فليس هو كرجائهم في الدنيا[٢].

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦١).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٥٩).

**وقد ذكرت في هذه الرسالة** أمثلةً من صفات الله أبيِّن فيها أثرَ تلك الصفات علىٰ سلوك العبد، وأنها ترجع في مقتضياتها من جهة العبد إلىٰ: المحبة والخوف والرجاء.

**وهي سبعة مباحث، وخاتمة:**

**المبحث الأول**: أثر الإيمان بصفة الرحمة في سلوك العبد.

**المبحث الثاني**: أثر الإيمان بصفة الحلم في سلوك العبد.

**المبحث الثالث**: أثر الإيمان بصفة القرب في سلوك العبد.

**المبحث الرابع**: أثر الإيمان بصفة الرضا في سلوك العبد.

**المبحث الخامس**: أثر الإيمان بصفة السمع في سلوك العبد.

**المبحث السادس**: أثر الإيمان بصفة العظمة في سلوك العبد.

**المبحث السابع**: أثر الإيمان بصفة الغضب في سلوك العبد.

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويدخره لي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا مَن أتىٰ الله بقلب سليم.

كتبه

**أحمد محمد النجار**

في مدينة رسول الله ﷺ

٣ ربيع الأول ١٤٣٣هـ

abuasmaa12@gmail.com

# المبحث الأول:
# أثر الإيمان بصفة الرحمة في سلوك العبد

**الرحيم:**

اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مشتق من صفة الرحمة.

**وصفة الرحمة ثبتت بالكتاب والسنة، ومن الأدلة علىٰ ثبوتها ما يأتي:**

قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «قَدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ سبْيٌ، فإذا امرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تحلُبُ ثَدْيَها تَسقِي، إذا وَجَدَتْ صَبِيًّا في السبي أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ ببطنِها وَأَرضعَتْهُ! فقال لنا رسولُ الله ﷺ: **أترونَ هذه المرأة طارحَةً وَلَدَها في النار؟**

قلنا: لا، واللهِ وهي تقدِرُ علىٰ أنْ تَطرَحَهُ!

فقال رسول الله ﷺ: **للهُ أَرحَمُ بعبادِهِ مِنْ هذِهِ بوَلَدِهَا**». أخرجه البخاري -واللفظ له-، ومسلم.

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات الرحمة صفةً لله، وأنها تجرىٰ علىٰ

ظاهرها من غير تمثيل.

وإثبات صفة الرحمة إنما يكون علىٰ ظاهرها بحسب مقتضىٰ لغة العرب التي نزل بها القرآن ، فهي معلومة المعنىٰ مجهولة الكيفية، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها.

**ورحمة الله واسعة محيطة بكل شيء**، تشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، فما من مخلوق إلا ووصلته رحمة الله.

**لكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو**: أن هناك رحمتين: رحمة عامة بالمخلوقات كلهم، كما قال تعالىٰ حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

فهذه الرحمة العامة مقتضية لسعادتهم في الدنيا فقط.

**والرحمة الأخرىٰ**: رحمة خاصة بأهل الإيمان.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وهذه الرحمة الخاصة مقتضية لسعادتهم في الدنيا والآخرة، كتبها الله لمن حقق التقوىٰ، فجعل بينه وبين الله وغضبه وعقابه وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فابتعد عن الشرك بأنواعه، واجتنب البدعة، وترك المعاصي.

**ورحمة الله ظهر أثرها في الوجود**، فكل إحسان ونعمة في الخلق فهو من أثر رحمة الله، فبرحمته سبحانه أرسل إلينا رسولهﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبَصَّرنا من العمىٰ، وأرشدنا من الغي.

وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبرحمته سخر لنا الخيل، والإبل والأنعام، وذللها للركوب والحمل(١).

وكتب الله سبحانه علىٰ نفسه أن رحمته تسبق غضبه.

ومن رحمته سبحانه أن جعل العباد يتعاطفون ويتراحمون، حتىٰ أن الوحش تعطف علىٰ ولدها، فترفع الدابة حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه.

ومن رحمته سبحانه أنه يرسل الرياح فتثير سحابًا، فيبسطه كيف يشاء، ثم يجعل ذلك السحاب ثخينًا، فترىٰ المطر ينزل من السحاب، فيحصل الاستبشار بعد ذلك بين الناس؛ لشدة حاجتهم، وكانوا قبل أن ينزل عليهم المطر قد يئسوا؛ لتأخر نزوله.

ومن رحمته أيضًا أن خلق دارًا جعلها لمن أطاعه، أعد فيها كل نعيم، وجعل أعلىٰ نعيم فيها رؤيته سبحانه، هذه الدار هي الجنة.

فتبارك الله أرحم الراحمين.

---

(١) انظر: «مختصر الصواعق» للموصلي (٣/ ٨٧٩).

**الآثار المسلكية:**

**إيمان العبد ويقينه برحمة الله يثمر عدة أمور؛ منها:**

**أولًا: محبة الله ﷻ، المستحق لصفات الجمال والجلال**، فما له من صفات الكمال، وما أنعم الله به من النعم علىٰ عباده، وما صرف عنهم من الشرور رحمةً بهم، يستوجب من العبد أن يحبه.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣].

فالله سبحانه حرَّم علىٰ عباده الدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ثم رخص للمضطر الذي لا يجد ما يشبع جوعه، وقارب علىٰ الهلاك أن يأكل من الميتة، وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فهذه الرخصة من رحمته بعباده، وهذا يثمر محبة العبد لربه.

فالله حرم هذه الأشياء لما فيها من ضرر علىٰ الإنسان، وهذا من رحمته به، ثم رخص للمضطر ما يزول به هلاكه، وهذا أيضًا من رحمته به.

هذه الرحمة ألا توجب من العبد محبة الله؟

**والجواب**: بلىٰ.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٩].

فالله سبحانه من رحمته بعباده المؤمنين أن أباح لهم الغنائم، وجعلها طيبة، ولم يحرمها عليهم كما حرمها علىٰ الأمم السابقة، وعَلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا أيضًا يوجب محبة العبد لربه.

فإذا قام بقلب العبد رحمة الله به في أوامره -جل وعلا- ونواهيه؛ أحبه، وأنس به، واشتاق إلىٰ لقائه، وهذا -والله- لفوز عظيم، وفضل كبير.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨].

فإن الله أخبر أن نعمه التي أنعم بها علىٰ عباده لو أراد أحد عدَّها لم يستطع إحصاءها، وهذا يدل علىٰ كثرة نعم الله، ثم علل ذلك سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا يجعل العبد مُحِبًّا لله؛ لإنعامه عليه بنعم لا تُحصَىٰ.

فالله سبحانه يُذَكِّر عباده بنعمه المترادفة المتواصلة، ويتعرف بها إليهم مع غناه التام عنهم وعن كل شيء، وإنما ذلك مجرد إحسانه وفضله وجوده، وهذا يثمر محبة هذا الرب العظيم.

فلتُعظم عندك -أيها العبدُ- الرغبة فيما عند الله، والشوق إلىٰ لقائه، ومحبته.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩].

فالله سبحانه من رحمته بعباده أن نهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل؛ لأن ذلك يوجب العداوة والبغضاء والتشاحن بين العباد، وهو ظلم وبغي.

ونهاهم أيضًا عن قتل أنفسهم، وعَلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾.

وهذا يجعل العبد مُحِبًّا لله؛ لرحمته به أن نهاه عما فيه إزهاق نفسه، وأكل أموال غيره بالباطل، وهذا يثمر محبة الله سبحانه.

**ثانيًا: يثمر الإيمان برحمة الله:** إحسان الظن بالله، والرغبة فيما عنده، وهذا يفتح للعبد باب الرجاء.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩].

فقد أخبر الله في هذه الآية أن من تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه، وعَلَّل ذلك برحمته، وهذا يستوجب من العبد إحسان الظن بالله، والإنابة إليه، ورجاء ما عنده.

فإذا شهد قلب العبد هذا المقام رجا ربه، وأقبل إليه.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤].

لما ذكر الله جزاء من حارب الله ورسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

أخبر سبحانه أن من تاب منهم فإن الله يتوب عليه، ونبَّه بعد ذلك بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤].

فمن رحمته بعباده أنه يتوب علىٰ من تاب منهم، وهذا يقتضي من العبد إحسان الظن بالله، والرغبة فيما عنده، وأنه إذا وقع في معصية لا يقنطُ من رحمة الله، بل يسارع بالتوبة، ويقبل علىٰ ربه الرحيم، فيقبله الله ويتجاوز عنه.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٠٢].

- وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فإن الله فتح أبواب رحمته لكل مسرف علىٰ نفسه بالمعصية، وعَلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فلرحمته سبحانه فتح باب التوبة، وهذا يثمر الطمع فيما عند الله، وحسن الظن به، وأن العبد إذا بادر بالتوبة وجد الله غفورًا رحيمًا.

**ثالثًا: يثمر الإيمان برحمة الله:** فعل الأسباب التي توصل إلىٰ رحمته سبحانه، فيحرص علىٰ زيادة إيمانه، وعلىٰ امتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ حتىٰ ينال ما عند الله من ثواب.

وهذا فيه أن الرجاء الصحيح ما استلزم عملًا.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

فإذا كان من أسباب رحمة الله الإحسان، فإن العبد يحرص عليه غاية الحرص حتىٰ تناله رحمة الله المقتضية لرجاء العبد ربه.

**والإحسان في الآية يشمل أمرين:**

١- الإحسان في معاملة الله، بالإخلاص له، وعدم الشرك به، ونحو ذلك.

٢- الإحسان في معاملة المخلوقين، بطلاقة الوجه، وبذل المعروف، وحُسن الخلق، ونحو ذلك.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧].

فهؤلاء إنما ابيضت وجوههم لما أطاعوا الله ورسوله ﷺ، وقدموا طاعتهما علىٰ طاعة كل أحد، فتجدهم سباقين لأوامر الله، مجتنبين ما نهاهم عنه، فكان جزاؤهم أن بَشَّرهم الله بدخولهم في رحمته، وأوجب لهم الخلود.

والجنة التي بَشَّرهم الله بها أثر من آثار رحمته سبحانه، فهم يدخلونها خالدين فيها أبدًا.

**ومما ينبغي أن يُعلَم:** أن كل رحمة في الخلق فهي من أثر رحمة الله، وذلك يوجب من العبد محبة الله سبحانه؛ إذ إن العبد إذا نظر حوله، والتفت ذات اليمين وذات الشمال لوجد رحمة الله محيطة به، يصله أثرها أينما كان.

وقد قذف الله في قلوب عباده الرحمة.

**ومن تلك الرحمة:** رحمة نبينا محمد ﷺ، فقد وصف الله نبيه قائلًا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وكان ﷺ رحيمًا بالأمة جميعًا، ويظهر ذلك في قوله: «**لولا أن أشق علىٰ المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**». [أخرجه مسلم في صحيحه].

ورحمته ﷺ لم تقف عند الإنسان، بل جاوزت ذلك إلىٰ الحيوان وغيره؛ فعن عبد الله بن جعفر قال: دخل رسول الله ﷺ حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأىٰ النبي ﷺ حنَّ، وذرفت عينا، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه، فسكت، فقال: «**من رَبُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**». فجاء فتىٰ من الأنصار فقال: لي يا رسول الله.

فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدئبه**». [أخرجه أبو داود في سننه].

وهذه الرحمة من النبي ﷺ تثمر محبة الله؛ لأن الله هو الذي أعطىٰ الرحمة لنبيه ﷺ، ومعطيها أحق بالمحبة من غيره.

**وقد استشعر الصالحون رحمةَ الله فقوي رجاؤهم.**

**قال حماد بن سلمة:** «والله لو خُيِّرت بين محاسبة الله لي، وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله؛ وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي». [«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٤٩)].

**وإن من الخسران العظيم:** ما وقع فيه بعض الفرق المنحرفة عن هدي النبي ﷺ وأصحابه من إنكار أن تكون الرحمة صفة من صفات الله، فسلبوا عن الله هذه الصفة العظيمة، التي تسوق الإنسان إلىٰ كل خير.

وهم مع ضلالهم حرموا خيرًا عظيمًا، ولهذا تجدهم في عباداتهم لا يستشعرون هذه الصفة، وآثارها، وهذا من عقاب الله لهم، جزاء وفاقًا.

**وفي ختام هذا المبحث، أقول:**

**إن العبد لو استشعر ما تقتضيه الرحمة من محبة الله** ﷻ، لقدَّم محبة الله علىٰ جميع المحابِّ سواء كان ذلك المحبوب أبًا، أو أمًّا، أو زوجة، أو ابنًا، أو وظيفة، أو رئيسًا، أو غير ذلك.

فإذا تعارض حبُّ الله مع حبِّ غيره؛ فإن ثمرة الإيمان بصفات الله المقتضية لمحبته توجب من العبد أن يُقَدِّم محبة الله.

هذه المحبة مقتضية لتوحيد الله في قلب العبد، وإذا استغرق بها القلب انبعثت الجوارح بفعل مرضاة الله سبحانه.

فمحبة الله موجبة لفعل كل ما يحبه الله، وترك كل ما يبغضه الله، ومن حصل له هذا فاز بخير الدنيا والآخرة.

وما أكثر ما يُقَدِّم جمعٌ من الناس محابَّ من يَهْوَوْنَهُ علىٰ محبة الله، فتجد بعضهم إذا تعارض عنده الصلاة المكتوبة مع لعب الكرة، أو العمل، أو السهر مع الأصحاب، أو نحو ذلك فإنه يقدم هذه الأمور علىٰ الصلاة؛ وذلك ناتج لضعف مقتضيات صفات الله في قلبه، والله المستعان.

ومنهم من يشرك مع الله غيره في محبته، وهذا من الشِّرك الذي لا يقبله الله سبحانه، وصاحبه مُخَلَّد في نار جهنم.

**وأيضًا لو استشعر العبد** ما تقتضيه صفة الرحمة من فتح باب الرجاء،

لَمَا تَعلَّق رجاؤه بغير الله، ولأقبل علىٰ طاعة الله سبحانه.

ولضعف الإيمان بهذه الصفة؛ تَعلَّقت قلوبُ بعض الناس بغير الله؛ رجاء جلب ما ينفعهم، أو دفع ما يضرهم؛ حتىٰ إن بعضهم يتعلق بالقبور، والأشجار، والأحجار، التي لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، وهذا كله مرجعه لضعف اليقين بأسماء الله وصفاته، أو عدمه.

والواجب علىٰ العباد أن يُقَدِّموا محبة الله علىٰ محبة غيره، وألا يُعَلِّقوا رجاءهم إلا بالله وحده.

وصاحب هذا المقام إذا تعبد الله بمقتضىٰ صفة الرحمة؛ سكن قلبه، واطمأَنَّ، وفاز بنعيم الدنيا والآخرة.

والله الموفق.

❊ ❊ ❊

# المبحث الثاني:
# أثر الإيمان بصفة الحلم في سلوك العبد

**الحليم:**

اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مشتق من صفة الحِلْمِ.

وصفة الحِلم ثابتة بالكتاب والسنة، ومن الأدلة علىٰ ثبوتها ما يأتي:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥].

وعن ابن عباس قال: كان النبيﷺ يدعو عند الكرب يقول: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم**». [أخرجه البخاري في صحيحه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات الحلم صفةً لله، وأنها تُجرَىٰ علىٰ ظاهرها من غير تمثيل.

وحلم الله وسع كل شيء، فالله سبحانه يحلم بعباده، ولو شاء لعاجلهم علىٰ ذنوبهم، فلم يطب لهم عيش أبدًا، ولكن الله ﷻ غشَّاهم بحلمه، وقيض لهم من يحفظهم وهم يعصونه، يبارزونه بالمعاصي، وهو مع ذلك كله يحرسهم

بعينه التي لا تنام، ويرزقهم كأنهم لم يعصوه[١].

ومن حلمه سبحانه الصبر علىٰ خلقه، فإنهم يدَّعون له الولد، ويشركون به، ويعبدون غيره بالدعاء، والنذر والذبح وغيرها من أنواع العبادة، وهو يعافيهم ويرزقهم، ولو أخذ الله الناس بظلمهم ما ترك علىٰ ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم بحلمه فلا يُعجِّل لهم العقوبة.

**الآثار المسلكية:**

**إيمان العبد ويقينه بحلم الله يثمر: محبة الله**؛ التي تدعوه إلىٰ الإنابة إليه، والإقبال عليه؛ وذلك أن الله يُنعم علىٰ عباده بنعمٍ لا تحصىٰ مع كثرة معاصيهم، فهو يحلم بعباده مع قدرته علىٰ تعجيل العقاب لهم، بل يستأني بهم، وهذا يوجب من العبد محبة هذا الرب ﷻ، ورجاء ما عنده.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

فالله سبحانه أخبر عن الذين فرُّوا يوم أحد بسبب بعض ذنوبهم لما عصوا أمر الرسول ﷺ، وتعجلوا الغنيمة أن الله عفا عنهم، وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، لأنه سبحانه لم يعاجلهم بالعقوبة لما أذنبوا وحلم بهم، وهذا يثمر للعبد أن يحبه.

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ٢٧١).

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج:٥٨-٥٩].

فقد بَشَّر الله من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته ثم قُتل: بالرزق الحسن، ودخول الجنة، وعلل ذلك بصفة الحلم، الموجبة لمحبة العبد لربه، فقد حلم عنه فلم يُعجِّل له العقوبة في الدنيا علىٰ ذنوبه، وغفر له، وكَفَّر عنه سيئاته، وأدخله الجنة.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١].

فقد أخبر الله عن كمال قدرته، وأنه قيوم السموات والأرض، فهو سبحانه يمسك السموات والأرض عن الزوال بحلمه، مع ما يقع فيه الخلق من الكفر والعصيان والفسوق، فلولا حلمه لزالتا من أماكنها، وإن فرض زوالها فلا يستطيع أحد بعده إمساكها كائنًا من كان، فقد جاء بـ(أحد) منكرة في سياق النفي للدلالة علىٰ العموم، ثم أكد العموم بحرف (مِن)، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

فهو سبحانه يرىٰ عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو مع ذلك يحلم بهم فلا يعجِّل لهم العقوبة، فهذا الإمساك من أثر صفة الحلم، وهو يوجب من العبد محبة الله.

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

إن العبد إذا استشعر حلم الله المقتضي لمحبته سبحانه، ورجائه؛ استحيَا منه، فبادر بامتثال أوامر الله، واجتنب نواهيه.

واستقرار القلب علىٰ مقتضىٰ هذه الصفة يثمر له من محبة الله، والأنس به، والشوق إلىٰ لقائه ما لا نسبة بينه وبين أعلىٰ نعيم في الدنيا.

فعلىٰ العبد أن يقصر حبه علىٰ الله وحده؛ وألا يعلق رجاءه بغيره؛ لإحسانه وفضله، فإن الله قد تفضل علىٰ العبد، وهيأ له كل ما فيه صلاحه، وذَلَّل له الدنيا بما فيها، وحلم علىٰ عصيانه.

فيا فوز ويا سعادة من قصر محبته ورجاءه علىٰ الله وحده!

فليتأمل كلُّ عبد هذا المعنىٰ، وليجعله طريقه في عبوديته لله، ويبني أعماله عليه، والله هو المستعان وحده وعليه التكلان.

❊ ❊ ❊

# المبحث الثالث:
# أثر الإيمان بصفة القرب في سلوك العبد

**القريب:**

اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مشتق من صفة القرب.

**وصفة القرب ثابتة بالكتاب والسنة، ومن الأدلة علىٰ ثبوتها ما يأتي:**

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

وعن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناسُ، ارْبَعُوا علىٰ أنفسِكم، فإنَّكم لا تَدعُونَ أصَمَّ ولا غائبًا، إنَّه معكم، إنه سميعٌ قريبٌ، تبارك اسمه، وتعالىٰ جدُّه**». [متفق عليه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات القرب صفة لله كما يليق بجلاله من غير تمثيل.

والله يقرب من قلوب عباده الخاشعة له، كما يتقرب ممن هو قائم يناجيه

في الصلاة، وممن يُعَفِّر له وجهه في التراب بالسجود، ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة؛ يباهي بهم ملائكته، ويقرب من عباده السائلين له، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار، ويجيب دعاءهم، ويقضي حاجاتهم[1].

فهو سبحانه قريب في علوه.

**الآثار المسلكية:**

**يثمر الإيمان بصفة القرب:**

**أولًا**: قوة الرجاء والطمع فيما عند الله، وهذا يحدو بالعبد أن يجدَّ في العمل.

فالعابد يرجو من الله أن يثيبه؛ لأن هذا هو مقتضىٰ قربه -جل وعلا- من العابد، والسائل يرجو من الله أن يستجيب دعاءه؛ لأن هذا هو مقتضىٰ قربه من السائل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

**ويترتب علىٰ هذا**: أن العبد السائل لا يدعو إلا الله؛ لأنه قريب منه يسمع دعاءه، والعابد لا يعبد إلا الله؛ لأنه قريب منه يرىٰ عبادته، ويسمع مناجاته.

---

(١) انظر: رسالة «الذل والانكسار للعزيز الجبار» ضمن مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٩٣).

**فيا من يدعو أصحاب القبور** رجاء أن يلبوا طلباته، أين أنت من كون الله قريبًا من الداعي يجيب دعاءه؟!

**ثانيًا: يثمر الإيمان بصفة القرب**: التقرب إلىٰ الله بما يحبه؛ حفظًا لمحبته لله، واستجلابًا لمحبة الله له التي هي أعلىٰ وأرفع من محبة العبد لربه.

وهذا القرب من لوازم المحبة، فكلما كان الحبُّ أعظم، كان القرب أكثر[1].

فحينئذٍ يتقرب إلىٰ الله بأنواع القرب القلبية من محبة، وإنابة، وتوكل، وخوف، ورجاء، ويتقرب إليه أيضًا بجوارحه، فيؤدي الفرائض، ويزيد عليها فعل المستحبات، وبين عينيه ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قال: من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**». [أخرجه البخاري في صحيحه].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (ص٥٢).

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

إن المتقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة يُعطَىٰ من الأجر والمثوبة أضعاف أضعافِ ما بذل، وهذا يجعل العبد مُحِبًّا لله، قَويَّ الرجاء.

فإذا وصل إلىٰ القلب نور صفة القرب، وشهد معنىٰ اسمه القريب أحب الله، وأنس بذكره، واشتاق إلىٰ لقائه.

وتحرىٰ الأوقات التي يقرب فيها الرب من عباده؛ حتىٰ يناجيه، ويطلب منه حاجاته، فإن الله ينادي عبده حال قربه: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه**».

وتحرىٰ أيضًا الأعمال الصالحة التي تكون سببًا في قرب العبد من ربه، فكلما قرب العبد من ربه بالأعمال الصالحة قرب الله منه.

وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن الموقن بصفة القرب المقتضية لمحبته لله، ورجاء ما عنده.

فإذا تحقق للعبد قرب الرب منه صار لقلبه إلهًا يرجوه وحده، بخلاف من لم يتيقن هذا المعنىٰ فإنه سيكون ضائعًا مشتتًا.

**ومن بديع كلام ابن القيم قوله:** «من كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد». [«طريق الهجرتين» (ص٥٥)].

والله يؤتي فضله من يشاء.

# المبحث الرابع:
# أثر الإيمان بصفة الرضا في سلوك العبد

**صفة الرضا ثابتة بالكتاب والسنة، ومن الأدلة عليها ما يأتي:**

قال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك...**». [أخرجه مسلم في صحيحه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات الرضا صفةً لله، وأنها تُجرَىٰ علىٰ ظاهرها من غير تمثيل.

ورضاه سبحانه أَحَبُّ إليه من سخطه.

**ومن ثمرة رضا الله سبحانه علىٰ أوليائه:** أن نصرهم علىٰ أعدائهم، وأوجب لهم المثوبة، وأدخلهم جنته، وأحل عليهم رضوانه الذي هو أعظم وأجلُّ من الجنة نفسها وما فيها من نعيم، فلا يسخط عليهم أبدًا.

**الآثار المسلكية:**

**يثمر الإيمان بصفة الرضا:** رجاء ما عند الله من الثواب؛ لمن امتثل أوامر الله، واجتنب معاصيه، وهذا يحمل العبد علىٰ الجد في طاعة الله، وتعليق رجائه بالله وحده.

فإذا شهد قلب العبد مقتضىٰ هذه الصفة؛ أحب الله، وسارع إلىٰ طاعته، واستبق إليها؛ حتىٰ يظفر برضاه.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [المائدة:١١٩].

فهذا خبرٌ من الله عن جزاء من صدَق الله، فاستقام علىٰ دينه، وامتثل أوامره، فمن صدَق الله نال رضاه، وأدخله جنته، وهذا يفتح باب الرجاء للعبد، فيُقبِل علىٰ ربه بطاعته حتىٰ ينال رضاه.

وأخبر سبحانه أيضًا في هذه الآية أن العبد رضي عن الله، ورضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده:

**الأول:** رضًا قبله أوجب له أن يرضىٰ عنه.

**والثاني:** رضًا بعده هو ثمرة رضاه عنه.

ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين،

وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين.

وهذا يوجب من العبد محبة الله؛ لكماله، وإحسانه، وفضله[١].

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فقد أخبر الله عن أمور يجب علىٰ العبد المؤمن أن يجتنبها، وأن هذه الأمور لا تجتمع مع الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا قام بقلب العبد الإيمان بالله -الإيمان الواجب-، أَدَّاه ذلك إلىٰ مُعَادَاة من حادَّ الله ورسوله.

فمن اجتنب هذا الأمر -وهو موادة من حَادَّ الله ورسوله- جازاه الله بالحياة الطيبة، وأدخله الجنة، وأحلَّ عليه رضوانه، وإذا أحل الله عليه رضوانه فإنه لا يسخط عليه أبدًا، وهذا ما يرجوه العبد من ربه بامتثاله الأوامر، وتركه المناهي.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٧-٨].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٥٨).

فقد ذكر الله في هذه الآية أن رضا الله يكون جزاء لمن قام بالواجبات وترك المحرمات، وهذا يفتح باب الرجاء للعبد إذا فعل الطاعات وترك المحرمات.

فالرجاء المحمود المستلزم فعل الطاعات.

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

إن التعبد لله بمقتضىٰ صفة الرضا يجمع القلب علىٰ الله وحده، فلا يقصد أحدًا سواه، ولا يصمُدُ لغيره في حوائجه، ولا يلجأ إلا إليه سبحانه، فتستقيم له عبوديته، ويفر إليه في كل وقت.

**فتأمل عبودية هذه الصفة** وما توجبه من قوة الرجاء بالله، ومحبته، فهو المبتدئ بالفضل، وإليه ينتهي الأمر، فليس هناك شيء يُرجَىٰ علىٰ الحقيقة إلا هو سبحانه.

❊ ❊ ❊

## المبحث الخامس:
## أثر الإيمان بصفة السمع في سلوك العبد

**السميع:**

اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مشتق من صفة السمع.

**وصفة السمع ثبتت بالكتاب والسنة، ومن الأدلة علىٰ ثبوتها ما يأتي:**

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١٣].

وعن عائشة زوج النبيﷺ أنها قالت لرسول اللهﷺ: «يا رسول الله، هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال: **لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم ...**». [أخرجه مسلم في صحيحه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات السمع صفةً لله.

فسمع الله -جل وعلا- محيط بكل شيء، يسمع الأصوات كلها، لا يخفىٰ عليه بعيدها ولا قريبها، يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، علىٰ تفنن الحاجات، في أقطار الأرض والسموات، فلا يشتبه عليه، ولا يختلط، ولا يغلطه سمع عن سمع[1].

سمع الله المجادلة من فوق سبع سموات، فقد جاءت إلىٰ النبي ﷺ تشتكي زوجها، وقد كانت عائشة مع قربها منها لا تسمعها، وقد سمعها الله بسمعه الواسع لكل شيء.

قالت عائشة الصدِّيقَة بنت الصِّدِّيق: «الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سمعُهُ الأصواتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَشكُو زَوْجهَا فكانَ يَخفَىٰ عَليَّ كَلامُهَا فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾». [أخرجه النسائي في سننه].

وقد أكد الله -جل وعلا- سماعه للمجادلة بعدة مؤكدات: (قد) والقسم المقدر؛ إذ إن تقديره: (والله).

وهذا يدل علىٰ إحاطة سمعه بكل شيء سبحانه.

---

(١) انظر: «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ١٠٨٣).

**الآثار المسلكية:**

إذا آمن العبد وأيقن بأن الله سميع متصف بصفة السمع فإن هذا يثمر له عملًا وسلوكًا، ومما يثمره له هذا الإيمان واليقين:

**أولًا: قوة الحياء من الله، وكمال مراقبته،** والخوف منه، فينتج عن هذا أن يحفظ العبد لسانه وجوارحه وقلبه عن كل ما لا يُرضي الله، حتىٰ لا يغضب الله عليه.

فلا ينطق العبد الموقن بهذه الصفة بكلمة تغضب الله؛ لأنه يعلم أن الله يسمعه، ولن يقدم علىٰ عمل حتىٰ يعلم هل هو علىٰ طاعة أو معصية؟ فإن الله قد توعد في غير ما آية من كتابه من تعدىٰ حدوده بأنه سميع، وهذا يقتضي عقاب الله لكل من تعدىٰ أمره؛ لأن الله لا يخفىٰ عليه شيء.

**وقد ضرب لنا السلف أروع الأمثلة في هذا:**

**قال الحسن البصري:** «ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت علىٰ قدمي حتىٰ أنظر: علىٰ طاعة أو علىٰ معصية؟ فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت». [ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»].

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:١٨١].

ففي هذه الآية الكريمة بيانٌ من الله أن الموصي إذا أوصىٰ بوصية،

فلا يجوز لمن سمع وصيته وعقلها أن يُبَدِّلها، ومن وقع في هذا المحذور، فبدل الوصية: فقد باء بالإثم ؛ وعلل هذا الجزاء بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وذلك أن الله قد سمع مقالة المُوصِي وعلم فعل المُبَدِّل، وإذا كان الله سميعًا عليمًا فهو قادر أن ينزل العقوبة بالمُبدِّل، وهذا يوجب خوف المُبدِّل من الله ﷻ ؛ فإن الله سيجازيه علىٰ ما صنع.

**ثانيًا: يثمر الإيمان بأن الله سميع**: رجاء ما عند الله، فإن الله قد نبه من امتثل أوامره بأنه سميع، وهذا يقتضي ثوابه لمن امتثل أمره.

وهذا يوجب رجاء العبد ربه، والطمع فيما عنده.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٤].

فقد أمر الله بقتال الكفار في سبيله، ثم نبه سبحانه بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فهو عليم بنياتهم، سميع لأقوالهم، وهذا يوجب منهم إحسان أقوالهم ونياتهم؛ حتىٰ يفوزوا بثواب الله، وما أَعدَّه من الأجر العظيم لمن باع نفسه لله.

وفي افتتاح الآية بـ(اعلموا) تنبيه لما بعدها، وحَثٌّ المخَاطَبين للتأمل فيه والاهتمام به، وأنه مظنة لغفلة الناس عنه.

**ثالثًا: يثمر الإيمان بكون الله سميعًا**: دعاء الله، وافتقار القلب إليه، وانكساره بين يديه، وطلب الحاجات منه صغرت أم كبرت، فإن الله لا يتعاظمه

شيء أعطاه، فيمين الله ملأىٰ، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وهذا يفتح للعبد باب الرجاء.

وهذه الثمرة ناتجة عن التي قبلها.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨].

فإنَّ زكريا عليه السلام سأل الله ودعاه، وعَلَّل ذلك بكون الله سميعًا، فَدَلَّ ذلك علىٰ أن من كان سميعًا متصفًا بصفة السمع المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه؛ فإن الحاجات لا تنزل إلا به، ولا تُطلَب الحاجات إلا منه، وهذا ما فعله هذا النبي الكريم.

**ولنقف وقفة عند هذه القصة:**

زكريا عليه السلام لم يكن له ولد، وقد وُجِد فيه من الموانع الحسية ما يمنع من وجود الولد: من وهن عظمه، وكبر سنه، واشتعال رأسه شيبًا، وكانت امرأته كبيرة وعاقرًا.

لكنه مع هذا كله سأل الله، ودعاه دعاء خفيًّا؛ لأنه موقن بأن الله سميع، يسمع نداءه، ويجيب دعاءه، فجاءته البشرىٰ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩].

والفاء هنا للتعقيب، خاطبته الملائكة مباشرة بعد دعائه، نادته وهو

يصلي في محرابه، وأخبرته ببشارة الله له بالولد.

وهذه وقفة لكل مُصَاب، أو مبتلىٰ، أو يريد حاجة، أن يطرق باب السماء، وأن يُلِحَّ علىٰ الله بالدعاء، فإن الله يحب من يدعوه، وقد وعده بالإجابة والإثابة.

**ولابد هنا من التنبيه علىٰ أمر غفل عنه بعض الناس؛ لنقص إيمانهم بهذه الصفة:** وهو أنك تجد بعض ضعاف الإيمان يطلبون حاجاتهم من غير الله ﷻ، فإذا حلت بأحدهم مصيبة، أو نزلت به شدة يفزع إلىٰ غير الله، فيسأله ويدعوه، ويستغيث به، ويرجوه، ويصرف له أنواعًا من العبادة.

وهذا مع كونه شركًا أكبر، هو نقص في إيمانه بكون الله سميعًا، وإلا أين هو من إيمانه بسمع الله المحيط بكل شيء، الذي يسمع الأشياء مهما خفيت ودقت.

فلو كان هؤلاء موقنين بهذه الصفة، لما دعوا غير الله.

كيف وقد أخبر الله سبحانه أن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله لا يسمعونكم، فقال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

فليحمد الله من عوفي من مثل هذا، والحمد لله أولًا وآخرًا.

**رابعًا: يثمر الإيمان بأن الله سميع:** طلب العوذ منه سبحانه، والتعلق

به، وهذا من الدعاء الذي لا يجوز صرفه لغير الله، فلا يُطلب العوذ في دفع ضرٍّ إلا ممن تعلق به القلب، وقوي رجاؤه فيه.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

فإنَّ الله قد أمر نبيه ﷺ إذا نزغه شيء من الشيطان أن يستعيذ بالله، فلا يدفع المكروه إلا الله، ولا يمنع الضر إلا الله، فهو بيده ملكوت كل شيء، وعلل أمره -جل وعلا- بقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، إذ إن سمعه -جل وعلا- محيط بكل شيء، فهو الذي يمنعك من الشيطان ويجيرك منه.

وكل شر في العالم سببه الشيطان، ولا خلاص للمؤمن من شره إلا بمعونة الله وتأييده.

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

من الناس من وقعوا في حبال الشيطان فجرَّهم إلىٰ الشرك بالله الذي هو أعظم شرٍّ ابتلي به العالم، فتجدهم يستجيرون بأصحاب القبور، ويستعيذون بهم، كما كان يفعل أهل الجاهلية، وقد قص الله لنا خبرهم فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن:٦].

فقد كان الواحد منهم إذا نزل واديًا عاذ بعظيم ذلك الوادي من الجن؛

حتىٰ لا يصيبه سوء، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم، فزادوهم خوفًا وذعرًا وإثمًا.

فإذا أعطىٰ العبدُ صفات الله حقها معرفةً وعبوديةً؛ استغنىٰ بها عن كل شيء، وأخلص العبودية لله وحده، واطمأنَّ قلبه، وحصل له الأمن والهداية في الدنيا والآخرة.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

❊ ❊ ❊

## المبحث السادس:
## أثر الإيمان بصفة العظمة في سلوك العبد

**العظيم:**

اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مشتق من صفة العظمة.

وصفة العظمة ثبتت بالكتاب والسنة، ومن الأدلة علىٰ ثبوتها ما يأتي:

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤].

وعن ابن عباس قال: «كان النبيﷺ يدعو عند الكرب يقول: **لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم**». [أخرجه البخاري في صحيحه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات العظمة صفةً لله، وأنها تُجرَىٰ علىٰ ظاهرها من غير تمثيل.

ومن عظمة الله -جل وعلا- أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، وهو محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء.

ومن عظمته أنه لا يشق عليه حفظ السموات والأرض، ولكمال عظمته وسع كرسيه السموات والأرض، ولم تحط به مخلوقاته، بل هو العالي علىٰ كل شيء.

ومن عظمته أنه لا تنفد كلماته، ولو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، وأشجار الأرض أقلامًا، فكتب بذلك المداد وبتلك الأقلام لنفد المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته[1].

**الآثار المسلكية:**

إذا آمن العبد وأيقن بأن الله عظيم متصف بصفة العظمة؛ فإن هذا يثمر الخوف من الله المؤدي إلىٰ تعظيم أوامر الله ونواهيه، وذلك أن تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورىٰ:٤-٥].

فقد أخبر الله في هذه الآية أن جميع العالم -العلوي والسفلي- ملكه وتحت تدبيره، وأن من آثار عظمته سبحانه، أن السموات تكاد تتفطر، وأن

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (ص٢٣٥).

الملائكة يسبحون بحمد الله، وهذا يثمر في قلب العبد الخوف من الله العظيم.

- **ومن الشواهد:** قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣].

فقد جاءت هذه الآية موضع العلة لقوله تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

فما حلَّ به من عذاب هو جزاء كفره بالله العظيم، فعَظُمَ جزاؤه لعظم ذنبه، وهذا يجعل العبد قائمًا بحق الله وطاعته؛ مُعَظِّمًا لربه.

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

إن العبد إذا استشعر صفة العظمة المقتضية للخوف من الله لوجدته ذليلًا منكسرًا بين يدي الله، معظمًا للأوامر فلا يتركها، ومعظمًا للنواهي فلا يفعلها.

فعظمة الله تقتضي من العبودية ما تليق بها.

**وعلامة تعظيم الأوامر:** رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحسينها، وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة عند فوات حق من حقوقها[1].

بينما تجد بعضًا من الناس يضيع أوقات الصلوات، ولا يراعي أركانها، ولا يحزن علىٰ فواتها، ولو أنه تفوته صفقة في بيعه، لحزن وندم، والله المستعان.

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (ص١٦).

وما ذلك إلا لغياب مقتضىٰ صفة العظمة في نفسه أو نقصه.

**وعلامة تعظيم المناهي**: الحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها ويدعو إليها، ويتهاون بها[1]:

وقد تجد فئامًا من المسلمين يباشرون المعصية، ويفعلون أسبابها، ويزينونها للناس.

وما ذلك إلا لضعف الخوف من الله في قلوبهم.

نسأل الله العافية والسلامة.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (ص٢٦).

# المبحث السابع:
# أثر الإيمان بصفة الغضب في سلوك العبد

**صفة الغضب ثابتة بالكتاب والسنة، ومن الأدلة عليها ما يأتي:**

قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور:٩].

وفي حديث الشفاعة؛ يقول نوح عليه السلام: «**ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله**». [أخرجه البخاري في صحيحه].

وقد أجمع أئمة السلف علىٰ إثبات الغضب صفةً لله، وأنها تُجرَىٰ علىٰ ظاهرها من غير تمثيل.

**ومن آثار غضبه سبحانه**: العقوبات، والآلام، والمحن، والمكروهات التي تنزل بالخلق.

**ومن آثار غضبه أيضًا**: أن خلق دارًا جعلها لمن فعل أسباب غضبه، أودع فيها كل شيء مكروه، وجعل الشر بحذافيره فيها، وجعلها محلَّ كل

خبيث من الذوات والصفات والأقوال والأعمال، هذه الدار هي: النار[1].

نعوذ بالله من النار.

**الآثار المسلكية:**

**يثمر الإيمان بصفة الغضب**: الخوف من الله، وهذا يحمل العبد علىٰ ترك ما يُغضِبه، والحذر من مخالفة أوامره سبحانه.

فيحمينا الخوف من الله من الوقوع في الشرك بأنواعه، وكذلك يحمينا من الوقوع في البدع، والمعاصي.

ولو أن كل مسلم استشعر هذه الصفة لاستقام دينه، وحسنت معاملته.

**ومما يشهد لهذا المعنىٰ:**

- قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦].

فقد أخبر الله أن من كفر بعد إيمانه، وانشرح صدره به راضيًا مطمئنًّا، أن عليهم غضبًا شديدًا من الله، وهذا يوجب من العبد الخوف من الله؛ باتقاء ما يُغضِب الله سبحانه.

- **ومن الشواهد**: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (ص٢٥٧).

مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

فقد أخبر الله عن حال أهل العجل بأنهم سينالهم غضب من الله؛ لاستهانتهم بأمر الله، ومخالفتهم نهيه، وهذا يوجب من العبد الابتعاد عن موجب غضبه.

**وفي ختام هذا المبحث أقول:**

إن العبد لو قام بقلبه الخوف من الله ومن غضبه لاستقام الناس علىٰ أمر الله، ولوجدتهم علىٰ قلب رجل واحد، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسولهﷺ.

لكن لما غاب هذا عن جماعة منهم ظهرت الفواحش، وارتُكب الزنا، وأُكل الربا.

ولا يُنجي من ذلك إلا التعبد بمقتضىٰ صفات الله -جل وعلا-.

فيتعين حينئذٍ علىٰ العبد المؤمن الطالب للنجاة من غضب الله أن يفعل الأسباب الموجبة لرحمة الله ورضوانه؛ فينال ما عند الله من الثواب الجزيل والأجر العظيم.

فمن انكسر قلبه لله واستكان، وخشع وخاف، أَمِنَ مِن عُقوبة الله في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه لا يجمع لعبده بين خوفين، فمن خافه في الدنيا أَمَّنه يوم القيامة.

# خاتمة

إذا تقرر ما تقدم من أن مقتضيات صفات الله ترجع إلىٰ: المحبة والخوف والرجاء، فإن العبد السائر إلىٰ الله لابد له من ملاحظة الخوف والرجاء معًا، فلا يغلب أحدهما علىٰ الآخر، وذلك أن الله قد أمر بهما جميعًا؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦].

وأثنىٰ الله علىٰ أنبيائه بهما؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومدح أهل الإيمان بهما جميعًا؛ فقال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

**قال مطرف بن الشخير**: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه، ما رجح أحدهما صاحبه».

فيجب علىٰ العبد في سيره إلىٰ الله أن يسير بهما.

**وقد ضرب الصحابة في السير بهما إلىٰ الله أروع الأمثلة:**

فهذا أبو بكر الصديق المُبَشَّر بالجنة كان يقول: «والله لوددت أني كنت شجرة تُؤكَل». [أخرجه أحمد في «الزهد»].

وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل، فقال عمر: «وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر». [أخرجه أحمد في «الزهد»].

وقال لابنه عند الموت: «ويحك ضع خدي علىٰ الأرض، عساه أن يرحمني». [أخرجه أحمد في «الزهد»].

وكان عثمان بن عفان «إذا وقف علىٰ القبر يبكي حتىٰ تبتل لحيته». [أخرجه الترمذي في «جامعه»].

فالمؤمن المُوحِّد يعبد الله بالمحبة والخوف والرجاء.

ولا يجوز أن يكون سيره إلىٰ الله بالحب وحده؛ لأن الحب المجرد عن الخوف تتوسع فيه النفوس، ويقع به في مخالفة الشريعة، فلا تجد من هذا حاله معظمًّا لحدود الله؛ وذلك لضعف الخشية من قلبه.

ولا يجوز أيضًا أن يكون سيره إلىٰ الله بالرجاء وحده، فيضيع حقوق الله، ويُعطِّل أوامره، فالرجاء لا يكون صحيحًا من العبد إلا إذا كان هاديًا له إلىٰ طاعة الله، زاجرًا له عن معصيته.

ولا يكون أيضًا بالخوف وحده، فيفضي به ذلك إلىٰ القنوط واليأس من رحمة الله.

**ورحم الله القائل**: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن مُوحِّد»[(١)].

**قال ابن رجب**: «وسبب هذا أنه يجب علىٰ العبد أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولابد له من جميعها، وَمَن أَخَلَّ ببعضها فقد أَخَلَّ ببعض واجبات الإيمان»[(٢)].

فمن عَبَدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن المُوحِّد.

وهذا الأمر لا يُدرَك بمجرد المعرفة، ولا يعرفه إلا من باشره، ولاح له منه بارق، والله يؤتي فضله من يشاء.

**وللخوف والرجاء قدر واجب** يجب أن يأتي به العبد، هذا القدر الواجب هو: ما حمل علىٰ أداء الفرائض واجتناب المحارم[(٣)].

---

(١) «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» (ص٤٤٥)، ونسبه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٤٠٢) إلىٰ الإمام مكحول الدمشقي.

(٢) انظر: «التخويف من النار» ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٩٤).

(٣) انظر: «التخويف من النار» ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ١١٢).

فمن لم يحمله خوفه ورجاؤه علىٰ امتثال الأوامر وترك النواهي لم يكن في الحقيقة خائفًا ولا راجيًا.

وصَلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسَلَّم.

❊ ❊ ❊

# فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥
**المبحث الأول**: أثر الإيمان بصفة الرحمة في سلوك العبد ..... ١٣
**المبحث الثاني**: أثر الإيمان بصفة الحلم في سلوك العبد ..... ٢٥
**المبحث الثالث**: أثر الإيمان بصفة القرب في سلوك العبد ..... ٢٩
**المبحث الرابع**: أثر الإيمان بصفة الرضا في سلوك العبد..... ٣٣
**المبحث الخامس**: أثر الإيمان بصفة السمع في سلوك العبد ..... ٣٧
**المبحث السادس**: أثر الإيمان بصفة العظمة في سلوك العبد..... ٤٥
**المبحث السابع**: أثر الإيمان بصفة الغضب في سلوك العبد..... ٤٩
الخاتمة..... ٥٢
الفهرس ..... ٥٦

❊ ❊ ❊